المقالة الثالثة عشرة[1]
مراعاة الظروف الزمانية
من سنن الله الشرعية

الحمدلله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وبعد:

فإنّ الله تعالىٰ قد أنزل هذا الدين علىٰ قلب محمد ﷺ ليكون عنصر بناء كيان الأمّة التي تواجه الباطل في الأرض وتسعىٰ إلىٰ إحلال الحق والعدل والسلام والخير فيها لينعم الناس بالرحمة في حياتهم كما قال تعالىٰ: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[2].

وذلك بما شرع الله تعالىٰ في هذا الدين من أحكام اعتقادية وأحكام تشريعية تحدد علاقة الإنسان بالله تعالىٰ وبالكون وبالأحياء علىٰ نحو ينسجم مع هذا الوجود تمام الانسجام لأن تلك الأحكام نازلة بعلم الله تعالىٰ خالق هذا الكون كله كما قال تعالىٰ: ﴿**لكن الله يشهد بما**

---

(١) شهر محرم سنة ١٤١٥ هـ.

(٢) سورة الأنبياء: آية ١٠٧.

أنزل إليك أنزله بعلمه﴾[1].

وقد شرع النبي ﷺ منذ اللحظة الأولىٰ في دعوة الناس إلىٰ هذا الدين وعرضه عليهم ولكنه راعىٰ في ذلك الظروف الزمانية التي كانت مكة تمرُّ بها وهي هيمنة زعماء قريش علىٰ الساحة بما تحمله من عقائد وثنية وأفكار ضيقة متردية لا قيمة لها في عالم الفكر والحياة. فاعتمد أسلوب السريّة في الدعوة إلىٰ الدين الجديد، وذلك باختيار الشخص الذي يرىٰ فيه الخير ويتوقع منه الاستجابة فيعرض عليه الإسلام فإن قبله فذاك وإن رفضه استكتمه وهو يعلم أنه سيلتزم بذلك لما جبل عليه الإنسان الكريم من حفظ السرّ ورعاية الصحبة والجوار، وكان ﷺ قد اتخذ من دار الأرقم محلاً للاجتماعات السريّة مع من آمن به من الأفراد يعلمهم أحكام الدين ويتفقد أحوالهم ويتابع مسيرتهم.

واستمرّ العمل السريّ في مكة زهاء ثلاث سنوات دخل في الإسلام خلالها عشرات من الناس حتى بلغوا نحو الأربعين من الرجال والنساء كانت تلك الفترة الزمنية بمثابة فترة الحمل في المرأة حيث لا يراه الآخرون وتسعىٰ أمه إلىٰ اجتناب التشاجر مع الغير كي لا تعرضه للخطر وهو في هذه المرحلة.

---

(١) سورة النساء: آية ١٦٦.

فلما نزل قوله الله تعالىٰ: **﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾**[1]. صعد النبيّ ﷺ إلىٰ الصفا ونادىٰ بأعلىٰ صوته: يا معشر قريش يا بني كعب يا بني هاشم يا بني عبد المطلب فلما اجتمعوا إليه قال لهم: أرأيتم لو أخبرتكم بأنّ خيلاً وراء هذا الوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي، قالوا: نعم ما علمنا عليك كذباً قط، قال: فإني رسول الله إليكم بين يدي عذاب أليم، فانفضوا عنه وقال أبو لهب: تباً لك ألهذا جمعتنا[2] فأنزل الله تعالىٰ: **﴿تبت يدا أبي لهبٍ وتب ما أغنىٰ عنه ماله وما كسب سيصلىٰ ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبلٌ من مسد﴾**[3]، وانفجرت المعركة بين الحق والباطل منذ تلك اللحظة حيث جعل زعماء قريش يسومون المسلمين أشدّ العذاب لردّهم عن دينهم، حتىٰ اضطرهم ذلك إلىٰ اللجوء للعمل بقانون الجوار المعمول به بين العرب فدخل بعضهم في جوار بعض ذوي النفوذ ليرفع عن نفسه ذلك العدوان وكان رسول الله ﷺ في جوار عمه أبي طالب الذي دافع عنه وحفظه الله به من أيدي زعماء قريش أن تناله بسوء لا أقله الاغتيال.

---

(١) سورة الحجر: آية ٩٤.

(٢) انظر تفسير القرطبي ج ٢٠ ص ٢٣٤ عند تفسير هذه السورة.

(٣) سورة المسد: آية ٥.

ونحن بعد سقوط دولة الخلافة العثمانية في حالة ضعف وتشتت يسعىٰ زعماء العالم فيها إلىٰ النيل من المسلمين فينبغي أن نستفيد من القوانين المعمول بها في بلادنا لحفظ الخط الإسلامي من توجيه ضربة أمنية له لإجهاض مسيرته وذلك باستخدام موقع الإفتاء في كل بلد إسلامي حيث هو موقع رسمي معترف به محلياً ودولياً، مع السعي إلىٰ تنظيفه من العناصر المشبوهة والشخصيات المدسوسة لتفعيل دوره في حياة المسلمين لأننا لا نهدف إلىٰ انتزاع الحكم من أيدي الحاكمين ولا إلىٰ سحب المواقع من أيدي أصحابها إذا قاموا بحقّ الأمة عليهم فيها فنتحاشىٰ بذلك التصادم مع الدولة في الداخل ونتحاشىٰ بذلك التصادم مع المجتمع الدولي في الخارج. والحمدلله ربّ العالمين.